قِرَاءَةٌ فِي مَسِيرَةِ الدِّرَاسَاتِ الإِعْجَازِيَّةِ – البَيَانُ القُرْآنِيُّ أُنْمُوذَجًا –

Reading in the March of Miraculous Studies – The Qur'anic Statement A Model –

طارق زيناي

Tarek Zinai

جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، الجزائر zinaitarek@gmail.com

تاريخ الارسال : 2020/04/20	تاريخ القبول : 2020/05/12	تاريخ النشر : 2020/06/10

ملخص:

ما إن نزل القرآن الكريم على العرب، وتحداهم أن يأتوا بمثله، فعجزوا وأدركوا بلسان الحال ولسان المقال أنه خطابٌ مفارق لخطابهم، وبيان يفوق بيانهم، وبقي أمر التحدي وأمر العجز، حتى تغيرت تصورات الناس بفعل الاتصال بثقافات الأمم الأخرى، فاحتاج المسلمون لأن يثبتوا لغيرهم من أصحاب الأديان الأخرى إعجاز القرآن، فظهرت العديد من الاجتهادات، مبينة جانبا من جوانب هذا الإعجاز، من هذا المنطلق ستحاول هذه الدراسة تتبع مسيرة الدراسات البيانية للمعجزة القرآنية، كواحدة من هذه الجوانب، وهي تهدف من ذلك إلى محاولة بيان أثر المتكلمين من المعتزلة والأشاعرة في التأريخ للظاهرة القرآنية في مستوياتها البلاغية والبيانية، ورصد التراكم المعرفي الذي نتج عن هذه الحركة النشطة في العصور الذهبية لهذه الدراسات، ولعلَّ أهم النتائج المتوصل إليها: أن الإعجاز البياني أظهر أوجه الإعجاز الذي أفاض فيه العلماء، وتعددت فيها الآراء، وأن تنوع المقاربات للبيان القرآني، مع اتفاق معظمها على الاعتماد على الدرس اللغوي في مستوياته المتعددة هو السبيل لإثبات ألوهية القرآن الكريم.

الكَلِمَاتُ المِفْتَاحِيَةُ : الإعجاز البياني؛ الإعجاز القرآني ؛ الإعجاز؛ الدراسات الإعجازية؛ البيان؛ التحدي.

Abstract:

As soon as the Qur'an came down on the Arabs, and challenged them to come up with the same, they failed and realized in the tongue of the situation and the tongue of the article that it was an irony speech for their speech, a statement that exceeded their statement, and the matter of challenge and

المؤلف المرسل: طارق زيناي، الإيميل: **zinaitarek@gmail.com**

disability remained, until people's perceptions changed by contact with the cultures of other nations, Muslims needed to prove to other people of other religions the miracle of the Qur'an, and many jurisprudence emerged, showing an aspect of this miracle, from this point of view this study will try to follow the course of the graphic studies of the Qur'anic miracle, as one of these aspects, and it aims to Attempting to show the influence of the speakers of the mu'tazila and al-achaira in the history of the Qur'anic phenomenon in its rhetorical and graphic levels, and to monitor the cognitive accumulation resulting from this active movement in the golden ages of these studies, and perhaps the most important findings: the graphic miracles showed the miracles in which scholars have been over-informed, and the diversity of opinions, and that the diversity of approaches to the Qur'an statement, with most of them agreeing on relying on the linguistic lesson at its various levels, is to prove the way to the deity of the Qur'an.

Keywords : **Graphic miracle; Quranic miracles; Miracle; Miracle studies; Statement; the challenge**.

مقدمة:

إن قضية الإعجاز البياني للقرآن الكريم كانت أول ما فرضت نفسها على العرب من جملة أوجه الإعجاز الأخرى، حيث إن العرب ومشركي قريش على وجه الخصوص ما سمعوا ما أنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم حتى أدركوا بسليقتهم ومعرفتهم باللسان العربي أنَّ هذا الكلام ليس من قول البشر، وأن الذي فيه من الفصاحة والبلاغة أكبر من أن يقدر عليه أفصح البلغاء، ولهذا حرصوا في كل المناسبات والمواسم أن يصدوا الناس عن سماع القرآن من النبي صلى الله عليه وسلم، ورموه عليه الصلاة والسلام بالسحر والكهانة تارة وبالشعر تارة وبالجنون تارة وبأن حديثه أساطير الأولين، حتى ينفض الناس من حوله، وقد تكاثرت الشواهد التي روتها كتب السيرة، والتي تحكي انبهار كثير من مشاهير العرب بهذا القرآن، فآمنوا به وصدقوه وعلموا أنه ليس من كلام البشر، بل« إن القرآن لم يفرض إعجازه البياني من أول البعث على هؤلاء الذين سبقوا إلى الإيمان فحسب، بل فرضه كذلك على من ظلوا على سفههم وشركهم، عنادا وتمسكا بدين الآباء ونضالا عن أوضاع دينية واقتصادية واجتماعية لم يكونوا يريدون لها أن تتغير »[1]

من هذا المنطلق نطرح **الإشكالية التالية** : كيف تجلّى الدرس الإعجازي عبر مراحله الزمنية المختلفة؟ وما أوجه التباين بين المعتزلة والأشاعرة في تأطير هذا المعطى؟ وهل بإمكاننا القول : إنَّ التوجه الأشعري يعدُّ حجز الزاوية، ولأن له الفضل في إرساء معالم الدراسات الإعجازية بالقياس مع المذاهب الأخرى؟

ويهدف هذا المقال إلى إماطة اللثام عن التفاعلات الفكرية المختلفة في التعامل مع الإعجاز القرآني في الثقافة الإسلامية، وبيان أوجه الاتفاق والاختلاف بين المذاهب الإسلامية المختلفة، وتحديد أهم معالم الدرس الإعجازي عند أهم أعلامه.

وقد اعتمد المقال منهجا وصفيا تحليليًّا؛ لأنه الأقدر على مقاربة مواضيع تنحو منحى تنظيريا كموضوعنا، هذا من ناحية ومن ناحية ثانية لأننا لا نكاد نقدم جديدا في قضايا تناولها الدارسون في الدراسات الإعجازية القديمة، اللهم إلا لم شمل ما تفرَّق في كتب القوم، ووصفها وتحليلها وفق سياقاتها الكلامية والإعجازية الواردة فيها.

وقبل التطرق إلى مسيرة الإعجاز البياني للقرآن الكريم عند من أرَّخوا له، لابد من تناول بعض المفاهيم ذات الصلة بالدرس الإعجازي باختصار :

1- مَفْهُومُ المُعْجِزَةِ وَشُرُوطُ تَحَقُّقِهَا :

يعدُّ مبحث المعجزات والكرامات من المباحث التي تناولتها الثقافة العربية بالبحث، سواء من الهيئات الدينية ذات التوجه النصِّي، كأهل السنة والأشاعرة بالخصوص، وعلماء الكلام والفلسفة الإسلامية، والمهتمين منهم بالدراسات الإعجازية، من هذا المنطلق سنحاول التطرق لبعض القضايا المتعلقة بهذا المبحث فيما يلي :

أ- مَفْهُومُ المُعْجِزَةِ لُغَةً :

مشتقة من الإعجاز تقول: أعجزت فلانا وعجَّزته وعاجزته إعجازا، أي: جعلته عاجزا، وجاء عند ابن منظور قوله : « العَجْزُ: نَقِيضُ الحَزْمِ، عَجز عَنِ الأَمر يَعْجِزُ وعَجِزَ عَجْزاً فِيهِمَا؛ وَرَجُلٌ عَجِزٌ وعَجُزٌ: عاجِزٌ، ومَرَةٌ عاجِزٌ: عاجِزَةٌ عَنِ الشَّيْءِ، (...) ويُقَالُ: أَعْجَزْتُ فُلَانًا إِذا أَلفَيْتَه عاجِزاً، والمَعْجِزَةُ والمَعْجَزَة: العَجْزُ، قَالَ سِيبَوَيْهِ: هُوَ المَعْجِزُ والمَعْجَزُ، الْكَسْرُ عَلَى النَّادرِ وَالْفَتْحُ عَلَى الْقِيَاسِ لأَنه مَصْدَرٌ، والعَجْزُ: الضَّعْفُ، تَقُولُ: عَجَزْتُ عَنْ كَذَا أَعْجِز » [2]

وقد يأتي العجر بمعنى الفَوْتِ وَالسَّبْقِ : « يُقَالُ: أَعْجَزَنِي فُلَانٌ أَي فَاتَنِي؛ وَمِنْهُ قَوْلُ الأَعشى:

فَذاكَ وَلَمْ يُعْجِزْ مِنَ الموتِ رَبَّه
وَلَكِنْ أَتاه الموتُ لَا يَتَأَبَّقُ » [3]

وجاء عند أبي البقاء الكفري قوله : « أعجزه الشَّيْء: فَاتَهُ، وَفُلَانًا: وجده عَاجِزا، أَو صيره عَاجِزا، ومعجزة النَّبِي: مَا أعجز بِهِ الْخصم عِنْد التحدي، وَالْهَاء لِلْمُبَالغَة [4]، والمعجز فِي وضع اللُّغَة: مَأْخُوذ من الْعَجز، وَفِي الْحَقِيقَة لَا يُطلق على غير الله أَنه معْجزَة، أَي خَالق الْعَجز؛ وَتَسْمِيَة غَيره معجزا كـ (فلق الْبَحْر) و(إحْيَاء الْميِّت) فَإِنَّمَا هُوَ بطرِيق التَّجَوُّز والتوسع من حَيْثُ أَنه ظهر بِقدر الْمُعَارضَة والمقابلة من الْمَبْعُوث إِلَيْهِ عِنْد ظُهُوره » [5]

وقد وردت مشتقات للكلمة في القرآن الكريم، وقوله سبحانه وتعالى خطابا للمشركين متوعدا لهم: ﴿وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللهِ وَبَشِّرِ الذينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [التوبة: 3]، وقوله تعالى كذلك : ﴿ وَلا يَحْسَبَنَّ الذينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لا يُعْجِزُونَ ﴾ [الأنفال : 59] وقوله سبحانه: ﴿ وَالذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولئِكَ أَصْحَابُ الجَحِيمِ ﴾ [الحج: 51]، ومنها قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيماً قَدِيراً ﴾ [فاطر: 44]، وقوله على لسان الجن: ﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لنْ نُعْجِزَ اللهَ فِي الأَرْضِ وَلنْ نُعْجِزَهُ هَرَباً ﴾ [الجن: 12].

من خلال التخريجات اللغوية والاستعمالات القرآنية، فإن الإعجاز لا يكاد يخرج عن كونه الإيقاع في العجز، ومنه جاء المعنى الاصطلاحي من حيث إنما

سميت المعجزات بهذا الاسم لظهور عجز المرسل إليهم عن تحدي الأنبياء ومعارضتهم لهم بأمثالها.

وأما لفظة (المعجزة) بمعنى الأمر الخارق للطبيعة والعادة: فلم ترد في كتاب الله، وإنما وردت لفظة (الآية) أو (الآيات) لتدل على المعنى السابق، كما في قوله جل وعلا: ﴿ وَقَالَ الذِينَ لا يَعْلمُونَ لوْلا يُكَلِّمُنَا اللهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ ﴾ [البقرة : 118] ، وقوله تعالى: ﴿ سَلْ بَنِي إِسْرَائِيل كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ﴾ [البقرة : 211] ، وقوله أيضا : ﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلا تَخْوِيفاً ﴾ [الإسراء : 59]

ولهذا اشتهرت تسمية المعجزة عند السلف الأول بالآية تمسكا بالاستعمال القرآني، « لكن كثيرا من المتأخرين يُفرِّق في اللفظ بينهما، فيجعل ((المعجزة)) للنبي، و((الكرامة)) للولي، وجماعها الأمر الخارق للعادة » [6]

حتى جاء الواسطي (ت306هـ) في القرن الثالث الهجري وبدايات الرابع، فألف كتابا بعنوان : " إعجاز القرآن في نظمه وتأليفه " قاصدا بذلك الاستعمال الاصطلاحي لها.

ب– اصْطِلَاحًا :

جاء في تعريف المعجزة عند السيوطي قوله : « اعلم أن المعجزة أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة وهي إما حسية وإما عقلية » [7]

ويعرفها الشريف الجرجاني بقوله: « المعجزة : أمر خارق للعادة، داعٍ إلى الخير والسعادة، مقرون بدعوى النبوة، قصد به إظهار صدق من ادعى أنه رسول من الله » [8]

فهي بهذا أمر خارق للعادة يؤيد الله بها أنبياءه وتحدي أعدائهم بها، حتى يتبين لهم صدقهم فيما يدعون إليه، ومعلوم في شرط التحدي هو « أن يكون الخصم متمكنا من الجهة التي تتحداه بها، وإلا بطل التحدي » [9]، فقوم موسى كانوا أهل سحر وتخييل، فكانت العصا المنقلبة إلى ثعبان من جنس ما يحسنونه، يقول الجاحظ مقررا هذه الحقيقة : « ولما كان أعجب الأمور عند قوم فرعون السحر، ولم يكن أصحابه قط في زمان أشد استحكاماً فيه منهم في زمانه، بعث الله موسى عليه السلام على إبطاله وتوهينه، وكشف ضعفه وإظهاره، ونقض أصله لردع الأغبياء من القوم، ولمن نشأ على ذلك من السفلة والطغام؛ لأنه لو كان أتاهم بكل شيء، ولم يأتهم بمعارضة السحر حتى يفصل بين الحجة والحيلة، لكانت نفوسهم إلى ذلك متطلعة، ولاعتل به أصحاب الأشغاب، ولشغلوا به بال الضعيف، ولكن الله تعالى جده، أراد حسم الداء، وقطع المادة، وأن لا يجد المبطلون متعلقا، ولا إلى اختداع الضعفاء سبيلاً، مع ما أعطى الله موسى عليه السلام من سائر البرهانات، وضروب العلامات » [10] وكان قوم عيسى أهل طبٍّ، فكان إبراء الأكمه والأبرص والأعمى، وإحياء الموتى إعجازا لهم وتحديا فيما يحسنونه، يقول الجاحظ معللا هذه المناسبة كذلك : « وكذلك زمن عيسى عليه السلام كان الأغلب على أهله، وعلى خاصة علمائه الطب، وكانت عوامهم تعظم على ذلك خواصهم، فأرسله الله عز وجل بإحياء الموتى، إذ كانت غايتهم علاج المرضى، وأبرأ لهم الأكمه إذ كانت غايتهم علاج الرمد، مع ما أعطاه الله عز وجل من سائر العلامات، وضروب الآيات؛ لأن الخاصة إذا بخعت بالطاعة، وقهرتها الحجة، وعرفت موضع العجز والقوة، وفصل ما بين الآية والحيلة، كان أنجع للعامة، وأجدر أن لا يبقى في أنفسهم بقية » [11] والأمر نفسه مع العرب في الفصاحة والبيان، فجاء القرآن بجنس ما

برعوا فيه، يقول الجاحظ أيضا في هذا : « وكذلك دهر محمد صلى الله عليه وسلم، كان أغلب الأمور عليهم، وأحسنها عندهم، وأجلها في صدورهم، حسن البيان، ونظم ضروب الكلام، مع علمهم له، وانفرادهم به، فحين استحكمت لفهمهم وشاعت البلاغة فيهم، وكثر شعراؤهم، وفاق الناس خطباؤهم، بعثه الله عز وجل، فتحدَّاهم بما كانوا لا يشكون أنهم يقدرون على أكثر منه فلم يزل يقرعهم بعجزهم، وينتقصهم على نقصهم، حتى تبين ذلك لضعفائهم وعوامهم، كما تبين لأقويائهم وخواصهم، وكان ذلك من أعجب ما آتاه الله نبياً قط، مع سائر ما جاء به من الآيات، ومن ضروب البرهانات» [12]، ويقول كذلك في نص آخر : « وجاء بهذا الكتاب الذي نقرؤه، فوجب العمل بما فيه، وأنه تحدى البلغاء والخطباء والشعراء، بنظمه وتأليفه، في المواضع الكثيرة، والمحافل العظيمة. فلم يرم ذلك أحد ولا تكلفه، ولا أتى ببعضه ولا شبيه منه، ولا ادَّعى أنه قد فعل » [13]، وفي الحيوان يقول كذلك : « وفي كتابنا المنزل الذي يدلنا على أنه صدق، نظمه البديع الذي لا يقدر على مثله العباد، مع ما سوى ذلك من الدلائل التي جاء بها من جاء به » [14]

2-الإعْجَازُ القُرْآنِيُّ وَمَسِيرَةُ الدَّرْسِ البَيَانِيِّ:

أولاً لابد من الاتفاق على أن قضية الإعجاز بيانية في الدرجة الأولى؛ لأن المثليَّة في آية التحدِّي من سورة الإسراء- التي سنشير إليها – هي مثلية بيانية، يشهد لها أن النص القرآني المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسان عربي مبين على قوم هم أرباب الفصاحة والبلاغة والبيان، يقول تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾[إبراهيم : 4]، فكان بذلك كلاما من جنس كلامهم، فتحدَّاهم به، فعجزوا عن الإتيان بمثله، فقامت بذلك الحجة عليهم، وبان صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، يقول تعالى : ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ [الإسراء : 88].

وقبل تناول أهم مؤلفات الإعجاز القرآني، لابد من الإشارة إلى أهم الدوافع والأسباب التي دفعت العلماء إلى الاشتغال بهذا الحقل المعرفي في فترات متباينة من تاريخ الأمة الإسلامية :

– الردُّ على أعداء الإسلام المشككين في إلهية القرآن الكريم، والذي تعرَّضوا له بالسخرية والامتهان والاستهزاء، وبخاصة أهل الملل والنحل الخارجة عن الإسلام، وأهل الزندقة والكفر من المنتسبين لهذا الدين .

– بيان عبثية من ادَّعى النبوة وحاول معارضة القرآن كمسيلمة الكذاب، أو من نُسب له ذلك كابن المقفع والمتنبي وأبي العلاء المعري.

– تقرير وتقوية العقيدة الإسلامية الصحيحة في قلوب المؤمنين بإثبات المصدرية الإلهية للقرآن الكريم، والوقوف بهم عند أوجه الإعجاز المختلفة.

– إبطال بعض الأفكار والتصورات المستحدثة عند الفرق الإسلامية كالقول بالصَّرفة، وبيان الوجه البلاغي والبياني للقرآن الكريم، والبرهنة على أنه الوجه المراد بالإعجاز.

وممَّا يجدر الإشارة إليه كذلك أنَّ المتكلمين هم أول من تناولوا مباحث إعجاز القرآن في مؤلفاتهم وخطبهم ومناظراتهم، فمن المعتزلة نجد الجاحظ الذي تناول إعجاز القرآن من جهة نظمه، فألف كتاب : " نظم القرآن "، ثم الواسطي والرماني، والقاضي عبد الجبار الذين سبقت الإشارة إليهم، ومن الأشاعرة نجد أهم دارسي إعجاز القرآن السابقي الذكر الباقلاني والجرجاني، والحق أن هؤلاء المتكلمين قد جاء اهتمامهم

بإعجاز القرآن بهدف الرد على المشككين والطاعنين في القرآن الكريم من الملاحدة والزنادقة ومنكري النبوة، ومعلوم أن هناك مستجدات في المجتمع العباسي كان لها الأثر الظاهر في زرع الشكوك والشبهات حول كل ما يخصُّ الدين الإسلامي وعلى رأسه القرآن الكريم، منها « تبدل الزمان وتغير الحال، بتسامح الخلفاء في غير ما يمسُّ سلطانهم، ويعرض لدولتهم، وامتلاك غير العرب لزمام الأمور في الدولة، وانتشار الكتب المترجمة؛ وازدياد اتصال العرب بغيرهم من أهل المذاهب والنحل الأخرى، وكثرة الجدال بين المذاهب الإسلامية، واشتعال نار العداوة بين الفرق الكلامية » [15]

لقد انبرى منذ وقت مبكر من بَحَثَ في غريب القرآن ومعانيه ومجازاته وتراكيبه وإعرابه وأساليبه وتفسيره وتأويله، فألف أبو زكريا يحي بن زياد الفرَّاء (ت207هـ) كتاب: " معاني القرآن "، وألف أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت208هـ) كتاب: " مجاز القرآن "، و الجاحظ (ت 255هـ) في كتابه المفقود : " نظم القرآن "، ومحمد بن قتيبة (ت 276هـ) كتاب : " تأويل مشكل القرآن " ويعدُّ القرن الرابع الهجري العصر الذهبي للدراسات الإعجازية، مع أبي عبد الله محمد بن يزيد الواسطي(ت306هـ) في كتابه : " إعجاز القرآن في نظمه وتأليفه " الذي لم يصلنا منه إلا إشارات أوردها من جاء بعده وعلى رأسهم عبد القاهر الجرجاني، وأبو الحسن علي بن عيسى الرُّمَّاني المعتزلي (ت386هـ) صاحب رسالة :" النكت في إعجاز القرآن" [16]، الذي ذكر فيه أوجها سبعة للإعجاز، وهي [17] :

- ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة.
- التحدي للكافَّة.
- الصَّرفة.
- البلاغة.
- الأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلية.
- نقض العادة.
- قياس القرآن بكل معجزة.

ومن الملاحظ أنه في الأوجه السابقة لم يأت بجديد يستحق الوقوف عنده، إنما هو تكرار لمن سبقه، اللهم إلا باب الصرفة والإعجاز البلاغي، هذا الأخير الذي تناوله في جل رسالته، فذكر في بدايتها تعريفا موجزا لها بقوله هي « إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ » [18] وهي على ثلاث طبقات : منها ما هو في أعلى طبقة؛ وهي بلاغة القرآن الكريم، وما كان دون ذلك فهي بلاغة البلغاء والفصحاء من الناس، وهو يختلفون في ذلك على طبقتين؛ أوسطها وأدناها.

وقد قسَّمها بعد ذلك عشرة أقسامٍ : الإيجاز، التشبيه، الاستعارة، التلاؤم، الفواصل، التجانس، التصريف، التضمين، المبالغة، حسن البيان، وراح يشرح كل قسم متبعا أياه بالشواهد القرآنية والأسرار والنكت، حتى يقرر مبدأ الإعجاز بهذه الأوجه البلاغية المجتمعة في القرآن، والتي أتت في أعلى مراتب البلاغة.

أما أبو سليمان أحمد بن محمد الخطَّابي (ت388هـ) صاحب كتاب: " بيان إعجاز القرآن"، فقد تناول فيه :

1- آراء من سبقوه القول في الإعجاز القرآني؛ وهؤلاء ينقسمون – باعتبار النظر من خارج النص القرآني– إلى مذهبين :

- مذهب من جعل الإعجاز عدم قدرة العرب عن معارضة القرآن، مع ما اجتمع لهم من الفصاحة والبلاغة والبيان, وهذا الوجه « أبينها دلالة، وأيسرها مؤونة، وهو مقنع لمن تنازعه نفسه مطالعة كيفية وجه الإعجاز فيه » [19] كما يقول الخطابي.
- ومذهب القائلين بالصَّرفة.

أما باعتبار النظر في داخل النص القرآني، فهو بدوره ينقسم عنده إلى مذهبين :

– المذهب الأول يرى أن الإعجاز يرجع إلى الإخبار عن الغيوب المستقبلة التي أخبر بها القرآن وصدَّقتها الوقائع كغلبة الروم, ونصر بدر، ولكن هذه إعجاز لا ينطبق على القرآن كله، يقول في هذا : « ولا يُشك في أن هذا وما أشبهه من أخباره نوع من أنواع إعجازه، ولكنه ليس بالأمر العام الموجود في كل سورة من سور القرآن »[20]

– أما المذهب الثاني – الذي رجحه وارتضاه – وهو الإعجاز البلاغي والبياني، والذي عليه أكثر علماء النظر، لكنه يرى أكثر العلماء يثبتونه إجمالا ويقع لهم الإشكال في كيفيته وتفصيله، يقول فيهم : « ووجدت عامة أهل هذه المقالة قد جروا في تسليم هذه الصفة للقرآن على نوع من التقليد وضرب من غلبة الظن دون التحقيق له، وإحاطة العلم به، ولذلك صاروا إذا سُئلوا عن تحديد هذه البلاغة التي اختص بها القرآن، الفائقة في وصفها سائر البلاغات، وعن المعنى الذي يتميز به عن سائر أنواع الكلام الموصوف بالبلاغة، قالوا : إنه لا يمكننا تصويره ولا تحديده بأمر ظاهر نعلم به مباينة القرآن غيره من الكلام »[21]

2– اجتهاداته الشخصية في إعجاز القرآن، وما فيها من ردود على مطاعن المعترضين عليه[22]، حيث اعتبر أن صفة الإعجاز تظهر في القرآن بجمال ألفاظه، وحسن نظمه، وسمو معانيه، وتأثيره في النفوس، يقول في هذا : « اعلم أن القرآن إنما صار معجزا لأنه جاء بأفصح الألفاظ، في أحسن نظوم، مضمنا أصحَّ المعاني»[23] وردَّ في فاتحة كتابه هذا على الذين يرون الصَّرفة في إعجاز القرآن، أو أنه يرجع إلى ما تضمنه من أخبارٍ في مستقبل الزمان، فهذه الأخيرة وإن صدقت في بعض آي القرآن فليست ظاهرة عامة تنسكب على جميع سور القرآن، ومعلوم أن وصف الإعجاز يتناول القرآن كله لا أبعاضه، وقد ذكر كذلك أساليب الكلام العربي الجيدة الفاضلة المحمودة عند جماهير العارفين باللسان العربي، فرأى أنها لا تخرج عن هذه الثلاثة[24] :

– الكلام البليغ الرصين الجزل.

– الكلام الفصيح القريب السهل.

– الجائز الطَّلْق الرَّسْل.

يقول بعدما عدد هذه الأقسام : « فالقسم الأول أعلى طبقات الكلام وأرفعه، والقسم الثاني أوسطه وأقصده، والقسم الثالث أدناه وأقربه؛ فحازت بلاغات القرآن من كل قسم من هذه الأقسام حصةً، وأخذت من كل نوع من الأنواع شعبة، فانتظم لها بامتزاج هذه الأوصاف نمطٌ من الكلام يجمع صفتي الفخامة والعذوبة، وهما على الانفراد في نعوتهما كالمتضادين لأن العذوبة نتاج السهولة، والجزالة والمتانة في الكلام تعالجان نوعا من الوعورة، فكان اجتماع الأمرين في نظمه مع نبوِّ كل واحد منهما على الآخر فضيلة خُصَّ بها القرآن، يسرها الله بلطيف قدرته من أمره، ليكون آية بينة لنبيه، ودلالة له على صحة ما دعا إليه من أمر دينه»[25]

ثم نراه يشير إلى ما يراه السر البلاغي للقرآن الكريم؛ الذي أعجز الله العرب على الإتيان بمثله أو بسورة من مثله، والتي منها[26] :

– أن علمهم لا يحيط بجميع أسماء اللغة العربية وألفاظها؛ التي هي ظروف المعاني والحوامل لها.

– أن أفهامهم عاجزة عن أدراك جميع معاني الأشياء المحمولة على تلك الألفاظ.

– أن معرفتهم لا تكمل لاستيفاء جميع وجوه النظوم، التي بها يكون ائتلاف الألفاظ، وارتباط بعضها ببعض.

– عدم تمكُّنهم من اختيار الأفضل عن الأحسن من وجوه النظم، حتى يستطيعوا أن يأتوا بكلام مثله.

والخطابيُّ في نظرته للفظ الحامل والمعنى الذي به قائم، والرباط الذي لهما ناظم، يؤسس نظرته للإعجاز البياني في القرآن الكريم؛ لأنَّ هذه الثلاثة في القرآن الكريم تشكل له « غاية الشرف والفضيلة، حتى لا ترى شيئا من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه، ولا ترى نظما أحسن تأليفا وأشد تلاؤما وتشاكلا من نظمه، وأما المعاني فلا خفاء على ذي عقل أنها هي التي تشهد لها العقول بالتقدم في أبوابها، والتَّرقي إلى أعلى درجات الفضل من نعوتها وصفاتها »[27]، وهي لا يمكن أن تجتمع في كلام غير كلام الله، يقول مقررا هذا الحكم : « وقد توجد هذه الفضائل الثلاث على التفرق في أنواع الكلام، فأما أن توجد مجموعة في نوع واحد منه فلم توجد إلا في كلام العليم القدير؛ الذي أحاط بكل شيء علما، وأحصى كل شيء عددا »[28]، ويؤكده بعد ذلك بقوله : « واعلم أن القرآن إنما صار معجزا لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظومِ التأليف مضمنا أصح المعاني، من توحيد له عزت قدرته، وتنزيه له في صفاته، ودعاء إلى طاعته، وبيان بمنهاج عبادته (...) واضعا كل شيء منها موضعه الذي لا يرى شيء أولى منه، ولا يرى في صورة العقل أمر أليق منه، مودعا أخبار القرون الماضية، وما نزل من مَثُلات الله بمن عصى وعاند منهم، منبئا عن الكوائن المستقبلة في الأعصار الباقية من الزمان، جامعا في ذلك بين الحجة والمحتج إليه، والدليل والمدلول عليه »[29]

إذن فمدار الإعجاز ومقتضاه يتجلَّى في فكرة أنَّ القرآن الكريم اجتمع فيه ما تفرق في غيره من كلام البشر، مما سبق ذكره في النص السابق، يقول في هذا المعنى : « ومعلومٌ أن الإتيان بمثل هذه الأمور، والجمع بين شتاتها حتى تنتظم وتتسق أمر تعجز عنه قُوى البشر، ولا تبلغه قدَرهم، فانقطع الخلق دونه، وعجزوا عن معارضته بمثله أو مناقضته في شكله »[30]، وقد ذكر بعض ما تحقق فيه الإعجاز البياني للقرآن الكريم، بدءا بالإعجاز اللفظي ثم المعنوي ثم الإعجاز بالنظم

3- الإعجاز النفسي، وما يصنعه القرآن بقارئه وسامعه من التأثير في النفس وشرح الصدر وبث الطمأنينة، وفي المقابل نجد التقريع والزجر والتخويف بحيث تطيش القلوب وتقشعر الأبدان، يقول في هذا : « قلت في إعجاز القرآن وجها آخر ذهب عنه الناس فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم، وذلك صنيعه بالقلوب، وتأثيره في النفوس، فإنك لا تسمع كلاما غير القرآن منظوما ولا منثورا، إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال، ومن الروعة والمهابة في أخرى ما يخلص منه إليه، تستبشر به النفوس، وتنشرح له الصدور، حتى إذا أخذت حظها منه عادت مرتاعة قد عراها الوجيب والقلق، وتغشاها الخوف والفرق، تقشعر منه الجلود، وتنزعج له القلوب، يحول بين النفس وبين مضمراتها، وعقائدها الراسخة فيها؛ فكم من عدو للرسول صلى الله عليه وسلم من رجال العرب وفتَّاكها أقبلوا يريدون اغتياله وقتله، فسمعوا آيات من القرآن، فلم يلبثوا حيث وقعت في مسامعهم أن يتحولوا عن رأيهم الأول، وأن يركنوا إلى مسالمته، ويدخلوا في دينه، وصارت عداوتهم موالاة، وكفرهم إيمانا »[31]، وقد ساق لذلك شواهد عن المشركين والصحابة والجن في تأثرهم

بالقرآن، والانقياد له والإقرار بعظيم آيته ودلائل قدرته على التأثير في النفوس، وتوجيه القلوب وصقل الأوراح.

ثمَّ جاء أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني الأشعري (ت403هـ)، الذي يعدُّ أهم من درس إعجاز القرآن بالقياس مع غيره، وذلك من خلال كتبه التالية :

- التمهيد.
- الانتصار لصحة نقل القرآن، والرد على من نحله الفساد بزيادة أو نقصان.
- البيان.
- إعجاز القرآن.

ولكن كتبه الثلاثة الأولى السابقة مع ما فيها من كلام عن الإعجاز ومباحثه إلا أنها ليست كلها : « في صميم الإعجاز، فالأول في العقيدة، وفيه فصل عن الإعجاز، والثاني خاص بعلوم القرآن، ومن بينها إعجازه، والثالث في الفرق بين المعجزات والكرامات، وفيه كلام عن إعجاز كتاب الله، ولكنه نظريٌّ ليس فيه الموازنة والتحليل الذي نجده في كتابه ((إعجاز القرآن)) »[32] هذا الأخير الذي يعتبر أهم ما كتبه الباقلاني في مباحث إعجاز القرآن، حيث إنه فصَّل فيه ما جاء مجملا في كتبه الثلاثة الأخرى، وقد ذكر في مقدم كتابه أنه إنما أقدم على التأليف في هذا الحقل المعرفي الهام، لما رآه من أن علماء اللغة وأهل صناعة الكلام « لم يبسطوا القول في الإبانة عن وجه معجزته، والدلالة على مكانه، مع أن الحاجة إلى ذلك البيان أمس، والاشتغال به أوجب، فهو أحق بالتصنيف من الجزء والطفرة والأعراض وغريب النحو وبديع الإعراب، وأن ما صنفه العلماء في هذا المعنى جاء غير كامل في بابه، قد أخل بتهذيبه، وأهمل ترتيبه »[33] زيادة على ذلك لما رآه في زمنه وقبله من تقصير أدى بكثير من الناس إلى تحولهم من الإسلام إلى مذهب البراهمة « ورأوا أن عجز أصحابهم عن نصرة هذه المعجزة يوجب أن لا مستنصر فيها، ولا وجه لها »[34]

ثم يقول بعد ذلك ذاكرا الحامل له على تأليفه هذا الكتاب – زيادة على ما سبق – بقوله : « وسألنا سائل أن نذكر جملة من القول جامعة، تسقط الشبهات، وتزيل الشكوك التى تعرض للجهال، وتنتهى إلى ما يخطر لهم، ويعرض لافهامهم من الطعن في وجه المعجزة، فأجبناه إلى ذلك، متقربين إلى الله عز وجل، ومتوكلين عليه وعلى حسن توفيقه ومعونته، ونحن نبين ما سبق فيه البيان من غيرنا »[35]

وقد ذكر في كتابه أوجه إعجاز القرآن عند الأشاعرة، وحصرها في ثلاثة أوجهٍ[36] :

الوجه الأول : تضمن القرآن الإخبار بالغيب، مما لا يقدر عليه البشر، من ذلك ما وعد الله تعالى نبيه عليه السلام، أنه سيظهر دينه على الأديان، بقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾[التوبة : 33] فتحقق ذلك بالفعل، وقد صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرِّفون المجاهدين في سبيل الله بوعد الله الذي وعدهم به من نصرهم وإظهار دينهم؛ حتى يتيقَّنوا بالنصر ويتصفوا بالصبر كأبي بكر وعمر وسعد بن أبي وقاص وغيرهم، والآيات في هذا المعنى أكثر من أن تحصر.

الوجه الثاني : إتيان القرآن بجملة ما حدث من عظيمات الأمور، ومهمات السير من بدء الخليقة إلى حين مبعثه صلى الله عليه وسلم، مع كونه أُمِّيّاً لا يعرف شيئا عن كتب السابقين وأنبائهم، خاصة وأن هذا لا سبيل إليه لا بالتَّعلم والأخذ من كتب السابقين، وهو لم يكن ملامسا لأهر الأثار وحملة الأخبار من أصحاب الديانات السابقة، فلا سبيل لمعرفة كل هذا إلا بالوحي،

ولهذا قال الله تعالى في حق نبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ [العنكبوت : 48]، قوله : ﴿وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[الأنعام : 105] .

الوجه الثالث : بديع نظم القرآن، وعجيب تأليفه، وتناهيه في البلاغة إلى الحد الذي يعجز الخلق عنه.

والقاضي أبو الحسن عبد الجبار الأسد آبادي المعتزلي (ت415هـ)، صاحب المصنفات الكثيرة، وعلى رأسها :" المغني في أبواب التوحيد والعدل "، الذي جعل الجزء السادس عشر منه خاصا بإعجاز القرآن، والردِّ المطول على القائلين بالصرفة حيث « بحث فيه بحثا متشعبا مسألةَ الإعجاز القرآني، وكل ما يتصل بالقرآن ونبوة الرسول صلى الله عليه وسلم، وكيف أنه يقع في المرتبة الرفيعة من البلاغة التي تخرج عن العادة » [37]، يقول مثلا في بيان أوجه الإعجاز : « واختلف العلماء في وجه دلالة القرآن: فمنهم من جعله معجزا لاختصاصه برتبة في الفصاحة خارجة عن العادة، وهو الذي نظرناه وبينا مذهب شيوخنا فيه. ومنهم من قال : لاختصاصه بنظم مباين للمعهود عندهم صار معجزا.

ومنهم من جعله معجزا من حيثُ صرفت هممهم عن المعارضة، وإن كانوا قادرين متمكنين، ومنهم من جعله معجزا لصحة معانيه واستمرارها على النظر، وموافقتها لطريقة العقل »[38]

ثم يأتي عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) ؛ الذي يعدُّ بحق أهم من أغنى هذا الحقل المعرفي المهم والثَّري، خاصة في كتابه : " دلائل الإعجاز"، والرسالة المسماة: " الشافية "، التي جعلها في مباحثة حقيقة إعجاز القرآن، وإقامة الدلائل على وقوعه؛ حيث سلَّم بداية بأن القرآن معجزٌ ببلاغته، وأن الاحتفاء باللفظ على حساب المعنى، أو المعنى على حساب اللفظ هو نفيٌ – بوجه من الوجوه – لإعجاز القرآن والتسوية بينه وبين كلام غير الله، فهو لم يفصل بينهما، بل اعتبرهما حقيقتان لا تنفصلان عن بعضهما البعض، فهما متكاملان يسهمان في إعجاز القرآن وفصاحته وحسن صياغته ونظمه، ولكن سائلا يسأل إذا كان الجرجاني تكلم عن حقيقة الإعجاز وأقام البرهان على تحققه في القرآن بذاته، لِمَ لم يتكلم عن أوجه الإعجاز في القرآن الكريم، كما فعل غيره ؟ ولعلَّ الإجابة عن هذا السؤال يقتضي منا افتراض أنه قد تدرج في تناول إعجاز القرآن، فكتاب : " أسرار البلاغة "كان تمهيدا لدلائل الإعجاز؛ حيث تناول فيه وجوه البيان والحسن في الكلام، حتى ينتقل منه إلى الحديث عن إعجاز القرآن الكريم، فكان كتابه الآخر : "دلائل الإعجاز"؛ الذي جعله قسمة بين مباحث الإعجاز، ومباحث البيان العربي، ثم جاءت رسالته : " الشافية " للملمة ما تفرق في الدلائل حول حقيقة إعجاز القرآن الكريم، والردِّ على القائلين بالصرفة، ولعله قد أرجأ الكلام عن أوجه الإعجاز لمؤلف آخر، لكن الأجل فاجأه قبل البدء فيه، وإكمال مشروعه البلاغي والإعجازي، يقول عبد الكريم الخطيب مبينا موقع الرسالة الشافية من مباحث إعجاز القرآن عند الجرجاني : « في هذه الرسالة يُعنى ((عبد القاهر)) عناية خاصة بتقرير ((الإعجاز)) في ذاته، وإقامة الأدلة القاطعة على وقوعه، مستشهدا لذلك بالقرآن الكريم، وما حمل من آيات سجلت تحدِّيه للعرب » [39]

يقول عبد القاهر في بدايتها، راسما منهجه في الكلام عن الإعجاز القرآني كما يتصوره : « هذه جمل من القول في بيان عجز العرب حين تحدوا إلى معارضة

القرآن، وإذعانهم وعلمهم أن الذي سمعوه فائت للقوى البشرية، ومتجاوز للذي يتسع له ذرع المخلوقين، وفي يتصل بذلك مما له اختصاص بعلم أحوال الشعراء والبلغاء ومراتبهم، وبعلم الأدب جملة... » [40]

ثم راح بعد ذلك يفصِّل كلامه عن الإعجاز بإثبات التفاضل بين الكلام، وأنه ليس على درجة واحدة، وأن العرب قد حازت قصب السبق في ذلك بين الأمم جملة، ومع هذا ليس للمتأخر عن زمان النبي صلى الله عليه وسلم من البلغاء والخطباء العرب أن يدَّعي أنه فاق الأولين في الفصاحة والبلاغة واللسن، يقول في هذا المعنى : « معلوم أن سبيل الكلام سبيل ما يدخله التفاضل، وأن للتفاضل فيه غايات ينأى بعضها عن بعض، ومنازل يعلو بعضها بعضًا، وأن علم ذلك علم يخص أهله، وأن الأصل والقدوة فيه العرب، ومن عداهم نبع لهم، وقاصر فيه عنهم، وأنه لا يجوز أن يدعي للمتأخرين من الخطباء والبلغاء عن زمان النبي صلى الله عليه وسلم الذي نزل فيه الوحي، وكان فيه التحدي، أنهم زادوا على أولئك الأولين، أو كملوا في علم البلاغة أو تعاطبها لما لم يكملوا له. كيف؟ ونحن نراهم يحملون عنهم أنفسهم، ويبرأون من دعوى المداناة معهم، فضلًا عن الزيادة عليهم » [41]، ويستدل لما يذهب إليه بكلام الجاحظ : « نحن– أبقاك الله– إذا دعينا للعرب أصناف البلاغة من القصيد والإرجاز، ومن المنثور والإسجاع، ومن المزدوج وما لا يزدوج، فمعنا العلم أن ذلك لهم شاهد صادق من الديباجة الكريمة، والرونق العجيب، والسبك والنحت، الذي لا يستطيع أشعر الناس اليوم، ولا أرفعهم في البيان أن يقول مثل ذلك إلا في اليسير، والنَّبْذ [42] القليل » [43]

وإنما قرر الجرجاني هذا التميز للأوائل الذين نزل عليهم القرآن، حتى يثبت عجزهم عن الإتيان بمثله مع فصاحتهم، وتقدمهم في ذلك، يقول : « ننظر في دلائل أحوالهم وأقوالهم حين تُلي عليهم القرآن وتحدوا إليه، ومُلئت مسامعهم من المطالبة بأن يأتوا بمثله ومن التقريع بالعجز عنه، وبتِّ الحكم بأنهم لا يستطيعونه ولا يقدرون عليه، وإذا نظرنا وجدناها تفصح بأنهم لم يشكوا في عجزهم عن معارضته والإتيان بمثله، ولم تحدثهم أنفسهم بأن لهم إلى ذلك سبيلا على وجه من الوجوه » [44] وقد أثبت هذا العجز ببراهين عقلية، منها:

- أن العرب مركوزٌ في طبعهم أن لا يسلموا لخصومهم بفضيلة، وهم يستطيعون معارضته فيها ومناقضته ومقارعته عليها، فلو وجدوا أنفسهم قادرين على تحدي القرآن فلن يألوا جهدا في ذلك، ولو وجدوا في الشعر الجاهلي وخطبه ما يُوزن بالقرآن فصاحا وبلاغة، لذكروه ورووه، ولو فعلوا ذلك لوصلنا عنهم.
- أن قريشا وهي من هي في الحمية والأنفة والإباء أن تترك رجلا ترى أنه يزعم بنزول القرآن عليه، يدعوهم لله تعالى، يرغبهم جنته، ويحذرهم ناره، ثم لا يعملون على إثبات ضدِّ ما يدعيه، ولهذا لمَّا أعجزهم ناصبوه العداء « هذا وقد بلغ بهم الغيظ من مقالته ومن الذي ادَّعاه حدًّا تركوا معه أحلامهم الراجحة، وخرجوا له عن طاعة عقولهم الفاضلة، حتى واجهوه بكل قبيح، ولقوه بكل أذى ومكروه، ووقفوا له بكل طريق، وكادوه وكلَّ من تبعه بضروب المكايدة، وأرادوهم بأنواع الشر، وهل سُمِعَ قطُّ بذي عقل ومسكة استطاع أن يخرس خصماً له قد اشتط في دعواه بكلمة يجيبه بها، فترك ذلك إلى أمور يُسَفَّهُ فيها، ويُنسب معها إلى ضيق الذرع والعجز » [45]، وهذا التخريج قد سبقه إليه الخطابي بقوله : « ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قد تحدَّى العرب قاطبة بأن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا عنه وانقطعوا دونه، وقد بقي صلى الله عليه وسلم يطالبهم

به مدة عشرين سنة، مظهرا لهم النكير، زاريا على أديانهم، مسفِّها آراءهم وأحلامهم، حتى نابذوه وناصبوه الحرب فهلكت فيه النفوس، وأُريقت المهج، وقُطعت الأرحام، وذهبت الأموال، ولو كان ذلك في وسعهم وتحت أقدارهم لم يتكلفوا هذه الأمور الخطيرة، ولم يركبوا تلك الفواقر المبيرة، ولم يكونوا تركوا السهل الدمث من القول إلى الحزن الوعر من الفعل، وهذا ما لا يفعله عاقل ولا يختاره ذو لبٍّ، وقد كان قومه قريش خاصة موصوفين برزانة الأحلام، ووفارة العقول والألباب، وقد كان فيهم الخطباء المصاقع والشعراء المفلقون(...) فكيف كان يجوز- على قول العرب ومجرى العادة مع وقوع الحاجة ولزوم الضرورة – أن يغفلوه ولا يهتبلوا الفرصة فيه، وأن يضربوا عنه صفحا، ولا يحوزوا الفلج والظفر فيه لولا عدم القدرة عليه، والعجز المانع منه» [46]

- والنقطة السابقة تجرُّنا إلى شبهة أخرى أوردها الجرجاني، وهي قوله : « وإن قالوا: فإن ههنا أمرًا آخر، وهو ما علمنا من تقديمهم شعراء الجاهلية على أنفسهم، وإقرارهم لهم بالفضل، وإجماعهم في امرئ القيس وزهير والنابغة والأعشى أنهم أشعر العرب، وإذا كان ذلك كذلك، فمن أين لنا أن نعلم أنهم لم يكونوا بحيث لو تحدوا إلى معارضة القرآن لقاموا بها واستطاعوها؟ » [47]، ثم يردُّ عليها ردًّا مفحما يبطل من خلاله الشبهة السابقة، التي تجعل من المعارضة ممكنة لمن قدمهم العرب من الشعراء الفحول الأربعة السابقين، وأنهم ميسور لهم ذلك لو أرادوه، وذلك في قوله : « قيل لهم: هذا الفصل على ما فيه لا يقدح في موضع الحجة، وذلك أنهم كانوا، كما لا يخفى، يروون أشعار الجاهليين وخطبهم، ويعرفون مقاديرهم في الفصاحة معرفة من لا تشكيل جهات الفضل عليه، فلو كانوا يرون فيما رووا وحفظوا مزية على القرآن، أو رأوه قريبًا منه، أو بحيث يجوز أن يعارض بمثله، أو يقع لهم إذا قاسموا وازنوا أن هذا الذي تحدوا إلى معارضته لو تحدى إليه من قبلهم لاستطاعوا أن يأتوا بمثله، لكانوا يدعون ذلك ويذكرون، ولو ذكروه لذكر عنهم. ومحال إذا رجعنا إلى أنفسنا واستشفقنا حال الناس فيما جبلوا عليه أن يكونوا قد عرفوا لما تحدوا إليه وفرعوا بالعجز عنه شبهًا ونظمًا، ثم يتلى عليهم: ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: 88]، فلا يزيدون في جوابه على الصمت، ولا يقولون: "لقد روينا لمن تقدم ما علمت وعلمنا أنه لا يقصر [عما] أتيت به، فمن أين استجزت أن تدعي هذه الدعوى"؟» [48]

- وهذه الشبهة كذلك تجرُّ إلى أخرى، وهي قولهم : إنَّ القرآن في وقته صنع في الناس ما صنع بعض كبار الشعراء والبلغاء المشهود لهم بالتفرد كامرئ القيس في وقته والجاحظ، وقد جاءتهم هاته الشبهة لقلة علمهم وسوء تدبرهم، ذلك أن ما جاء به القرآن فيه مزية ناقضة للعادة، بحيث انقطعت الأطماع في مجاراته أو معارضته، بلا حول ولاقوة لهم معه، يقول عبد الكريم الخطيب معقبا على هذه الشبهة : « وهذا الذي يقرره عبد القاهر هو مقطع القول في هذا الأمر، إذ ليس الذي يأتي به العبقريُّ أو النابغة من قولٍ أو عملٍ، بالشيء الذي يقطع على الناس سبيل النظر فيه، أو المساواة له، أو الغلبة عليه، فلم تشهد الحياة أبدا لإنسانٍ أنه انقطع بعمله أو قوله عن منازعة الناس له، والدخول معه فيما قال أو عمل .. فيقصِّرون عنه في جانب ويعلون عليه في جانب آخر فيما خيِّل إلى الناس أنه انفرد به » [49] فامرؤ القيس مع جلالته أفحمه علقمة الفحل لما حكمت أم جندب له، وأكبر دليل خلاف الناس فيه وفي غيره، من النبهاء أيهم أشعر؟

وأيهم أفصح ؟ وهناك دليل آخر أورده الجرجاني في ردِّ هذه الشبهة، وهو قوله : « وأما تقدُّم واحد من أهل العصر سائرهم، ففي معنى تقدم واحدٍ من أهل مصر من الأمصار غيره ممن يضمه وإياه ذلك المصر، لا فضل في ذلك بين الأمصار والأعصار، إذا حققت النظر، إذ ليس بأكثر من أن واحدا زاد على جماعة معدودين في نوع من الأنواع، فكان أعلمهم أو أكتبهم أو أشعرهم، أو أحذقهم في صنعةٍ، وأبهرهم في عمل من الأعمال، وليس ذلك من الإعجاز في شيء، إنما المعجز ما عُلِمَ أنه فوق البشر وقدرهم »[50]، وهو في كل هذا يستشهد بشواهد نقدية وشعرية سابقة، تدلُّ بمفهومها ومنطوقها على ما يرمي إليه من الأدلة التي يثبت من خلالها إعجاز القرآن إعجازا مطلقا.

وهناك تاريخية، من أقوال المشركين الذين عاصروا نزول القرآن، فبهرهم بنظمه وجميل أسلوبه، وأقروا بأنه ليس شعرا ولا كهانة ولا سحرا ولا كلاما يشبه كلام البشر، ومن هؤلاء الوليد بن المغيرة، وعتبة بن ربيعة وأُنيس أخو أبي ذرٍّ.

ثم يأتي أبو مسلم الأصفهاني المعتزلي (ت 535هـ)، الذي لم يكد يخرج عمَّا قرره الجرجاني فرأى أن إعجاز القرآن لا يتعلق باللفظ مفردا؛ لأن ألفاظ القرآن هي ألفاظ العرب المعروفة، يقول تعالى : ﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً ﴾[فصلت : 3]، ويقول : ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾[الشعراء : 195]، ولا يتعلق بالمعاني؛ لأن كثيرا من المعاني معروفة في الكتب المتقدمة، يقول تعالى : ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴾[الشعراء : 196]، وإنما يتعلق بالنظم المخصوص، يقول مبينا هذه الفكرة : « فَظَهَرَ مِنْ هَذَا أَنَّ الْإِعْجَازَ الْمُخْتَصَّ بِالْقُرْآنِ يَتَعَلَّقُ بِالنَّظْمِ الْمَخْصُوصِ وَبَيَانَ كَوْنِ النَّظْمِ مُعْجِزًا يَتَوَقَّفُ عَلَى بَيَانِ نَظْمِ الْكَلَامِ ثُمَّ بَيَانِ أَنَّ هَذَا النَّظْمَ مُخَالِفٌ لِنَظْمِ مَا عَدَاهُ »[51]

ثم تطرق لمراتب تأليف الكلام، فرأى أنها لا تخرج عن خمسٍ[52]:

– **الْأُولَى:** ضَمُّ الْحُرُوفِ الْمَبْسُوطَةِ بَعْضِهَا إِلَى بَعْضٍ لِتَحْصُلَ الْكَلِمَاتُ الثَّلَاثُ: الِاسْمُ والفعل والحروف.

– **الثَّانِيَةُ:** تَأْلِيفُ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ بَعْضِهَا إِلَى بَعْضٍ لِتَحْصُلَ الْجُمَلُ الْمُفِيدَةُ وَهُوَ النَّوْعُ الَّذِي يَتَدَاوَلُهُ النَّاسُ جَمِيعًا فِي مُخَاطَبَاتِهِمْ وَقَضَاءِ حَوَائِجِهِمْ وَيُقَالُ لَهُ: الْمَنْثُورُ مِنَ الْكَلَامِ.

– **الثَّالِثَةُ:** ضَمُّ بَعْضِ ذَلِكَ إِلَى بَعْضٍ ضَمًّا لَهُ مَبَادٍ وَمَقَاطِعُ وَمَدَاخِلُ وَمَخَارِجُ،وَيُقَالُ لَهُ : الْمَنْظُومُ.

– **الرَّابِعَةُ:** أَنْ يُعْتَبَرَ فِي أَوَاخِرِ الْكَلَامِ مَعَ ذَلِكَ تَسْجِيعٌ وَيُقَالُ لَهُ الْمُسَجَّعُ.

– **الْخَامِسَةُ:** أَنْ يُجْعَلَ لَهُ مَعَ ذَلِكَ وَزْنٌ وَيُقَالَ لَهُ الشِّعْرُ وَالْمَنْظُومُ إِمَّا مُحَاوَرَةٌ وَيُقَالُ لَهُ الْخَطَابَةُ وَإِمَّا مُكَاتَبَةٌ وَيُقَالُ لَهُ الرِّسَالَةُ.

ليصل بذلك إلى نتيجة مفادها أن للقرآن من كل قسم من الأقسام التالية نظمٌ مخصوصٌ « جَامِعٌ لِمَحَاسِنِ الْجَمِيعِ عَلَى نَظْمٍ غَيْرِ نَظْمِ شَيْءٍ مِنْهَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُ لَا يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ لَهُ رِسَالَةٌ أَوْ خَطَابَةٌ أَوْ شِعْرٌ أَوْ سَجْعٌ كَمَا يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ هُوَ كَلَامٌ وَالْبَلِيغُ إِذَا قَرَعَ سَمْعَهُ فَصَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا عَدَاهُ مِنَ النَّظْمِ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ولا مِنْ خَلْفِهِ﴾؛ تَنْبِيهًا عَلَى أَنَّ تَأْلِيفَهُ لَيْسَ عَلَى هَيْئَةِ نَظْمٍ يَتَعَاطَاهُ الْبَشَرُ فَيُمْكِنُ أَنْ يُغَيَّرَ بِالزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَانِ كحالة الكتب الأخرى »[53]

وفي ختام أهم الدراسات الإعجازية لا يمكن إغفال كتاب : " نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز " لفخر الدين

الرازي (ت 606هـ)، الذي هو في أصله تلخيص لبلاغة الجرجاني حاول من خلاله أن يستدرك ما فات السابقين، من مباحث في الإعجاز، وكذا تهذيب ما قالوه، وإخراجه مرتبا ومبوبا حسب أصول البحث.

ويعدُّ أبو هلال العسكري من أوائل من تنبَّه إلى العلاقة الكبيرة بين علم البلاغة وإعجاز القرآن، وأنَّ الثاني لا يمكن أن تدرك حقائقه وأسراره إلا بالأول، يقول في هذا : « اعلم- علَّمك الله الخير، ودلَّك عليه، وقيَّضه لك، وجعلك من أهله- أنَّ أحقَّ العلوم بالتعلُّم، وأولاها بالتحفّظ بعد المعرفة بالله جلَّ ثناؤه علم البلاغة، ومعرفة الفصاحة، الذى به يعرف إعجاز كتاب الله تعالى، الناطق بالحقّ، الهادي إلى سبيل الرُّشد، المدلول به على صدق الرسالة وصحَّة النبوة، التى رفعت أعلام الحقّ، وأقامت منار الدِّين، وأزالت شبه الكفر ببراهينها، وهتكت حجب الشكِّ بيقينها، وقد علمنا أنّ الإنسان إذا أغفل علم البلاغة، وأخلَّ بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ما خصّه الله به من حسن التأليف، وبراعة التركيب، وما شحنه به من الإيجاز البديع، والاختصار اللطيف؛ وضمّنه من الحلاوة، وجلَّله من رونق الطَّلاوة، مع سهولة كلمه وجزالتها، وعذوبتها وسلاستها، إلى غير ذلك من محاسنه التى عجز الخلق عنها، وتحيَّرت عقولهم فيها » [54]

ونحن إذ نستحضر من اشتهروا بتناول مباحث الإعجاز القرآني، لابد من الإشارة إلى الجاحظ كأهم من مهّد لهذا الحقل المعرفي بإشاراته المتعددة – خاصة في رسائله – فإذا أردنا استعراض بعض ما قاله، نجده قد ردَّ على من أنكر إعجاز القرآن بالصرفة أو غيرها بحجج عقلية مقنعة، منها أن العرب هم أهل الفصاحة وأرباب البيان، فيهم الشعراء والبلغاء والحكماء، ومع ذلك عجزوا – بعدما تحداهم القرآن بالسورة والسور – على أن يأتوا بمثله، من ذلك قوله : « ومحال في التعارف، ومستنكر في التصادق، أن يكون الكلام أحصر عندهم، وأيسر مئونة عليهم، وهو أبلغ في تكذيبهم وأنقض لقوله، وأجدر أن يعرف ذلك أصحابه فيجتمعوا على ترك استعماله، والاستغناء به، وهم يبذلون مهجهم وأموالهم، ويخرجون من ديارهم في إطفاء أمره، وفي توهين ما جاء به، ولا يقولون، بل لا يقول واحد من جماعتهم: لم تقتلون أنفسكم، وتستهلكون أموالكم، وتخرجون من دياركم، والحيلة في أمره يسيرة، والمأخذ في أمره قريب؟ ! ليؤلف واحد من شعرائكم وخطبائكم كلاماً في نظم كلامه، كأقصر سورة يخذلكم بها، وكأصغر آية دعاكم إلى معارضتها » [55] فإذا كان الأمر على هذه الشاكلة، فإن شأن العرب مع القرآن على يخرج عن أمرين : « إما أن يكونوا عرفوا عجزهم، وأن مثل ذلك لا يتهيأ لهم، فرأوا أن الإضراب عن ذكره، والتغافل عنه في هذا الباب وإن قرعهم به، أمثل لهم في التدبير، وأجدر أن لا يتكشف أمرهم للجاهل والضعيف، وأجدر أن يجدوا إلى الدعوى سبيلاً، وإلى اختداع الأنبياء سبباً، فقد ادعوا القدرة بعد المعرفة بعجزهم عنه، وهو قوله عز ذكره: ﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاء لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا [الأنفال : 31] ﴾ » [56]، ثم نجده بعد هذا التخريج يستدرك عليه، مبينا عدم الجنوح إليه، وذلك في قوله : « وهل يذعن الأعراب وأصحاب الجاهلية للتقريع بالعجز، والتوقيف على النقص، ثم لا يبذلون مجهودهم، ولا يخرجون مكنونهم وهم أشد خلق الله عز وجل أنفة، وأفرط حمية، وأطلبه بطائلة، وقد سمعوه في كل منهل وموقف، والناس موكلون بالخطابات، مولعون

بالبلاغات، فمن كان شاهداً فقد سمعه، ومن كان غائباً فقد أتاه به من لم يزوده » [57]

وإما أن يكون غير ذلك، من إطباقهم على معارضته، مع قدرتهم على مثله، وهذه الفرضية كذلك يردُّ عليها الجاحظ بقوله : « ولا يجوز أن يطبقوا على ترك المعارضة وهم يقدرون عليها، لأنه لا يجوز على العدد الكثير من العقلاء والدهاة والحلماء، مع اختلاف عللهم، وبعد هممهم، وشدة عداوتهم الإطباق على بذل الكثير، وصون اليسير، وهذا من ظاهر التدبير، ومن جليل الأمور التي لا تخفى على الجهال فكيف على العقلاء، وأهل المعارف فكيف على الأعداء، لأن تحبير الكلام أهون من القتال، ومن إخراج المال » [58]

وفي الأخير يصل إلى أن وصف الإعجاز للقرآن لا مناص منه، وأن العرب قد غُلِبُوا عليه وامتنعوا عنه، لما فيه من نظم عجيب وتأليف مفارق لما عهدوه، يقول الجاحظ في هذا « فتحدَّاهم بما كانوا لا يشكون أنهم يقدرون على أكثر منه فلم يزل يقرعهم بعجزهم، وينتقصهم على نقصهم، حتى تبين ذلك لضعفائهم وعوامهم، كما تبين لأقويائهم وخواصهم، وكان ذلك من أعجب ما آتاه الله نبياً قط، مع سائر ما جاء به من الآيات، ومن ضروب البرهانات » [59]

خَاتِمَةٌ :

بعد هذه التطواف المقتضب في مسيرة الدراسات الإعجازية، والتي ظهر من خلالها جهد علمائنا في تبيان أوجه الإعجاز البياني للقرآن الكريم، يمكن إبراز النتائج المتوصل إليها فيما يلي :

*/ أن المعجزة القرآنية هي معجزة بيانية في الدرجة الأولى، فهي الأصل، والأوجه الإعجازية الأخرى فرع عنها.

*/ أن لظهور الدرس الإعجازيّ في الأمة الإسلامية أسباب ومقتضيات، لعلَّ من أهمها إثبات إلهية القرآن وصدق النبوة، وتقوية الإيمان واليقين في قلوب الناس.

*/ لقد تنوعت المصنفات الممهدة لظهور الدرس الإعجازي في القرون الأولى للأمة الإسلامية.

*/ أن الفضل الكبير في إثراء هذا الحقل المعرفي المهم يرجع إلى علماء الأشاعرة والمعتزلة في الغالب دون غيرهم.

*/ يعدُّ الباقلاني والجرجاني من الأشاعرة والقاضي عبد الجبار من المعتزلة من أهم من درس المعجزة القرآنية بيانيا.

اقْتِرَاحَاتٌ وَتَوْصِيَّاتٌ:

*/ تعميق دراسة القضايا المتعلقة بالقرآن وإعجازه وعلومه، وإقامة ملتقيات وندوات وأيام دراسية في ذلك.

*/ العمل على إعادة بعث التراث الإعجازي في الثقافة الإسلامية، وبخاصة التراث الكلامي، والبناء عليه بما يخدم النص القرآني.

*/ توسيع النقاشات حول القضايا المتعلقة بالإعجاز القرآني، وتوجيه طلبة العلم إليها، لإنجاز مشاريع بحثية في ذلك.

الهوامش:

[1]– سامي محمد هشام حريز، نظرات من الإعجاز البياني في القرآن الكريم نظريا وتطبيقيا، دار الشروق، عمان، الأردن، ط01، 2006، ص 19.

[2] – أبو الفضل جمال الدين محمد بن منظور، لسان العرب، ج05، دار صادر، بيروت، لبنان، ط3، 1414هـ ، ص 369، مادة : " عَجَزَ "

[3] – المصدر نفسه، ج05، ص 370.

[4] – أي المبالغة في الخبر عن عجز المرسل إليهم عن معارضته، وهذا كقولنا : علَّامة، فهَّامة، نسَّابة، راوية.

[5] – أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي، الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، تح : عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط02، 1998 ، ص 149.

[6] – أبو العباس تقي الدين بن تيمية، قاعدة في المعجزات والكرامات، تح : حمَّاد سلامة، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط01، 1989، ص07.

[7] – جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج03، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، مصر، 1974، ص03.

[8] – علي بن محمد الشريف الجرجاني، التعريفات، تح: محمد الصديق المنشاوي، دار الفضيلة، مصر، 2004، ص 184.

[9] – عبد العزيز عبد المعطي عرفة، قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط01، 1985، ص 71.

[10] – أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الرسائل (رسالة الحنين إلى الأوطان)، ج03، تح : عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1964، ص 278 – 279.

[11] – المصدر نفسه، ج03، ص 279.

[12] – المصدر نفسه، ج03، ص 279 -280.

[13] – المصدر نفسه، ج03، ص 251.

[14] – أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان،ج 04، تح : عبد السلام محمد هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط02، 1965، ص 90.

[15]– أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، إعجاز القرآن، مصدر سبق ذكره، ص07 (مقدمة المحقق)

[16]– ذكر الرماني سبب تأليفه لرسالته : " النكت " بقوله : « سألت وفقك الله عن ذكر النكت في إعجاز القرآن دون التطويل بالحجاج، وأنا أجتهد في بلوغ محبتك، والله الموفق للصواب بمنّه ورحمته » الرمّاني والخطّابي والجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تح : محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط03، 1976، ص75.

[17]– المصدر نفسه، ص75.

[18]– المصدر نفسه، ص 75 – 76.

[19]– المصدر نفسه، ص 22.

[20]– المصدر نفسه، ص 23.

[21]– المصدر نفسه، ص 24.

[22]– يلاحظ منهجية الخطابي العلمية في ردوده، حيث يذكر الشبهة ويفصل القول فيها ثم يردُّ عليها ويبطلها، ومن جملة ما تناوله في ردوده على المتكلمين : " أساليب ولغة القرآن " ومن ذلك: غريب القرآن، والاختلاف في استعمال المترادفات (الأكل والافتراس)، الحذف والاختصار، والتكرار... يُنظر : الرمّاني والخطّابي والجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، مصدر سبق ذكره، ص 35- 54.

[23]– الرمّاني والخطّابي والجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، مصدر سبق ذكره، ص 27.

[24]– المصدر نفسه، ص 26.

[25]– الصفحة نفسها.

[26]– يُنظر : المصدر نفسه، ص 27.

[27]– الصفحة نفسها.

[28]– الصفحة نفسها.

[29]– المصدر نفسه، ص 27- 28.

[30]– المصدر نفسه، ص 28.

[31]– المصدر نفسه، ص 70.

[32]– أحمد مطلوب، اتجاهات النقد الأدبي في القرن الرابع الهجري، وكالة المطبوعات، الكويت، ط01، 1973، ص 142.

[33]– أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، إعجاز القرآن، تح : السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط05، 1997، ص 06.

[34]– الصفحة نفسها.

[35]– المصدر نفسه، ص 07.

[36]– يُنظر المصدر نفسه، ص 48- 71.

[37]– شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط09، 1995، ص 115.

[38]– يُنظر : أبو الحسن عبد الجبار الأسد آبادي، المغني في أبواب التوحيد والعدل، ج16، تح : أمين الخولي، وزارة الثقافة، القاهرة، مصر، 1960، ص 318- 327 .

[39]– عبد الكريم الخطيب، إعجاز القرآن الإعجاز في دراسات السابقين (دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية ومعاييرها)، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط01، 1974، ص289.

[40]– الرمّاني والخطّابي والجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، مصدر سبق ذكره، ص 117.

[41]– الرمّاني والخطّابي والجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، مصدر سبق ذكره، ص117-118.

[42]– النَّبْذ : الشيء القليل.

[43]– أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، ج03، تح : عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط07، 1998، ص29. النص الذي أورده الجرجاني في رسالته يختلف اختلافا طفيفا مع نسخة البيان والتبيين التي حققها عبد السلام هارون.

[44]– الرمّاني والخطّابي والجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، مصدر سبق ذكره، ص 118- 119.

[45]– المصدر نفسه، ص 120.

[46]– المصدر نفسه، ص 21 – 22.

[47]– المصدر نفسه، ص 126- 127.

[48]– المصدر نفسه، ص 127.

[49]– عبد الكريم الخطيب، إعجاز القرآن الإعجاز في دراسات السابقين (دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية ومعاييرها)، مرجع سبق ذكره، ص294 – 295.

[50]– الرمّاني والخطّابي والجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، مصدر سبق ذكره، ص 135.

[51]– جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج04، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، مصر، 1974، ص12.

[52]– يُنظر: المصدر نفسه، ج04، ص 12- 13.

[53]– المصدر نفسه، ج04، ص 13.

[54]– أبو هِلال الحسن بن عبد الله العسكري، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، مصدر سبق ذكره، ص 01.

[55]– أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الرسائل (رسالة الحنين إلى الأوطان)، ج03، مصدر سبق ذكره، ص 274

[56]– المصدر نفسه، ج03، ص 275.

[57]– الصفحة نفسها.

[58]– المصدر نفسه، ج 03، ص 275 - 276.

[59]– المصدر نفسه، ج03، ص 279 -280.